أو أعان على قتله فقام حجر كما كان يقوم فى أيام المغيرة وتكلم بنحو مما قال للمغيرة فلم يعرض له زياد ثم ركب زياد إلى البصرة وأراد أن يأخذ حجرا معه إلى البصرة لئلا يحدث حدثا فقال إنى مريض فقال واﷲ إنك لمريض الدين والقلب والعقل واﷲ لئن أحدثت شيئا لأسعين فى قتلك ثم سار زياد إلى البصرة فبلغه أن حجرا واصحابه أنكروا على نائبه بالكوفة وهو عمرو بن حريث وحصبوه وهو على المنبر يوم الجمعة فركب زياد إلى الكوفة فنزل فى القصر ثم خرج إلى المنبر وعليه قباء سندس ومطرف خز أحمر قد فرق شعره وحجر جالس وحوله أصحابه أكثر ما كانوا يومئذ وكانمن لبس من أصحابه يومئذ نحو من ثلاثة آلاف وجلسوا حوله فى المسجد فى الحديد والسلاح فخطب زياد فحمد اﷲ واثنى عليه ثم قال اما بعد فان غب البغى والغى وخيم وإن هؤلاء أمنونى فاجترأوا على وايم اﷲ لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ثم قال ما أنا بشىء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر واصحابه وادعه نكالا لمن بعده ويل امك يا حجر سقط بك العشاء على سرحان ثم قال ... أبلغ نصحية أن راعى إبلها ... سقط العشاء به على سرحان ... وجعل زياد يقول فى خطبته إن من حق أمير المؤمنين يعنى كذا وكذا فأخذ حجر كفا حصباء فحصبة زياد وقال كذبت عليك لعنة اﷲ فانحدر زياد فصلى ثم دخل القصر واستحضر حجرا ويقال إن زيادا لما خطب طول الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر الصلاة فمضى فى خطبته فلما خشى فوت الصلاة عمد إلى كف حصباء ونادى الصلاة وثار الناس معه فلما رأى ذلك زيادنزل فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته كتب إلى معاوية فى أمره وكثر عليه فكتب إليه معاوية أن شده فى الحديد واحمله إلى فبعث إليه زياد والى الشرطة وهو شداد بن الهيثم ومعه أعوانه فقال له إن الأمير يطلبك فامتنع من الحضور إلى زياد وقام دونه اصحابه فرجع الوالى إلى زياد فأعلمه فاستنهض زياد جماعات من القبائل فركبوا مع الوالى إلى حجر وأصحابه فكان بينهم قتال بالحجارة والعصى فعجزوا عنه فندب محمد بن الأشعث وامهله ثلاثا وجهز معه جيشا فركبوا فى طلبه ولم يزالوا حتى أحضروه إلى زياد وما أغنى عنه قومه ولا من كان يظن أن ينصره فعند ذلك قيده زياد وسجنه عشرة أيام وبعث به إلى معاوية وبعث معه جماعة يشهدون عليه أنه سب الخليفة وأنه حارب الأمير وأنه يقول إن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل على بن أبى طالب وكان من جملة الشهود عليه أبو بردة بن أبى موسى ووائل بن حجر وعمر بن سعد بن أبى وقاص وإسحاق وإسماعيل وموسى بنو طلحة بن عبيد اﷲ والمنذر بن الزبير وكثير بن شهاب وثابت بن ربعى فى سبعين ويقال إنه كتبت شهادة شريح القاضى فيهم وإنه أنكر ذلك وقال